[وحكى عن أحمد العِجليّ قال:] أخذ محمد حُجراً المَدَرِيّ[١] ـ وكان رجلاً صالحاً ـ فأقامه عند المنبر وقال: سُبَّ أبا تُراب، فقال: إن الأمير محمداً أمرني أن أسُبَّ علياً، فالعنوه لعنه الله، فتفرَّق الناس على ذلك، ولم يفهمها إلا رجلٌ واحد.

وكان علي عليه السلام قال[٢] لحجر هذا: كيف بك إذا قمتَ مقاماً تُؤمر فيه بلعنتي؟ قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم، سُبَّني ولا تتبرَّأ مني.

ومحمد بن يوسف هذا هو الذي أشار إليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكان يقول: الحجاج بالعراق، وأخوه محمد باليمن، وعثمان بن حَيَّان بالحجاز، والوليد بالشام، وقُرَّة بن شَريك بمصر، امتلأت بلاد الله جَوراً[٣].

[وقد ذكرنا أن محمد بن يوسف لما رجع إلى اليمن أصابه داء، فتقطعت أعضاؤه ومات.]

وولده يوسف بن محمد خال الوليد بن يزيد، ولّاه الوليد الحَرَمَين والطائف سنة خمس وعشرين ومئة، وحجّ بالناس فيها، ثم عزله عنها، واستعمل عليها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٤].

السنة الثانية والتسعون

وفيها غزا قتيبة سِجستان بجيوشه، وسار من مَرْو في جيشٍ كَثيف، فأرسل إليه رُتبيلُ فصالحه على ما أراد قتيبة، ورجع إلى مرو.

[فصل]: وفيها فُتحت الأندلس على قول الواقدي، قال[٥]: وكان عليها ملك يقال له أدرينوق، فسار إليه طارق، وقطع زقاق الأندلس، والتقاه أدرينوق في جمع عظيم،

---

(١) في النسخ: المدني، وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٣٣٠، ٣٣١، ولحجر ترجمة في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٩٥. وهو حُجْر بن قيس، من رجال تهذيب الكمال ٥/ ٤٧٥.

(٢) في (ص): وقال ابن عساكر عن أحمد العجلي أن علياً عليه السلام قال، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٣٣٠ من طريق ليس فيها ذكر للعجلي، وذكر ابن حجر الخبر بنحوه في اللسان ٥/ ٣٥٨ من طريق آخر (ترجمة عبيد ابن قنفذ) وقال: خبر باطل.

(٣) تاريخ دمشق ٦٥/ ٣٣٦.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٩٣، وما بين معكوفات من (ص).

(٥) في النسخ: على بعض الأقوال، والمثبت من (ص).

وأبرزوا سريرَه، ولبس تاجَه، واقتتلوا فنصر الله طارقاً، وقُتل الأردينوق وأصله من أصبهان، وهم ملوك عَجَم الأندلس [ودخل طارق قُرطبة، ثم سار إلى طُلَيطُلَة، وقد ذكرناه.

فصل] وفيها غزا عمر بن الوليد ومَسْلَمة بن عبد الملك بلد الروم، وفتح مَسلمة حصوناً كثيرة، ويقال: إنه بلغ إلى الخليج، وفتح سُوْسَنة.

وحج بالناس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان عمال الأمصار على حالهم.

فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن يزيد

ابن شريك بن تَيم الرّباب التَّيْميّ، [وكنيته] أبو أسماء.

[وذكره ابن سعد] في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة، وكان يَقُصُّ على الناس، وإنما حمله على القصص لأنه رأى مناماً.

[قال ابن سعد بإسناده إلى سفيان، عن أبيه قال: إنما حمل إبراهيم] على القَصَص أنه رأى في المنام أنه يقسم رَيحاناً، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: الرَّيْحان ريحُه طيّب، وطعمُه مُرّ[1].

[وقال أبو نعيم بإسناده عن] الأعمش قال: كان إبراهيم التيمي إذا سجد تجيء العصافير فتنقر ظهره كأنه جِذْم حائط[2].

[وروى أبو نعيم أيضاً عن الأعمش] قال: قلت لإبراهيم التَّيمي: بلغني أنك تمكث شهراً لا تأكل شيئاً! قال: نعم، وشهرين، ما أكلتُ منذ أربعين ليلة إلا حَبَّةَ عِنَب، ناولتني أهلي فأكلتُها ثم لَفَظتُها.

[وروى أبو نعيم عن] سفيان قال: قال إبراهيم التيمي: كم بينكم وبين القوم! أقبلتْ عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرتْ عنكم فاتبعتموها.

[قال:] وكان يقول: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «حلية الأولياء» ٤/ ٢١٢ وفيه: فتستقر على ظهره، وهو الأشبه، وما بين معكوفين من (ص).

[قال:] وما رفع رأسه إلى السماء ولا خاض في شيء من أمر الدنيا.

[وروى أبو نعيم أيضاً أنه] قال: من أعظم الذَّنب عند الله أن يُحدِّث العبد بما ستره الله عليه[١].

[قال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى سفيان بن عيينة قال: قال إبراهيم التيمي:] مَثَّلْتُ نفسي في الجنة، آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأُعانق أبكارها، ومثلت نفسي في النار، آكل من زَقُّومها، وأشرب من صَديدها، وأُعالج سَلاسلها، فقلت لنفسي: أَيْ نفس، أيش تريدين؟ فقالت: أُردّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، فقلت: أنت في الأُمنية فاعملي[٢].

[وقال ابن سعد:] توفي إبراهيم التَّيمي في حبس الحجاج، وسبب حبسه: أن الحجاج طلب إبراهيم النَّخَعي، فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه يريد إبراهيم النخعي، فلم يستحلّ أن يَدُلّه عليه، فأتي به الحجاج، فحبسه في الدِّيماس، ولم يكن له ظِلٌّ من الشمس، ولا كِنٌّ من البَرد، وكان كلّ اثنين في سلسلة، فتغيّر إبراهيم، فجاءته أُمُّه فلم تعرفه حتى كلّمها، فمات في السجن، فرأى الحجاج قائلاً يقول في منامه: مات الليلة رجلٌ من أهل الجنة في هذه البَلدة، فلما أصبح سأل: هل مات الليلة أحد بواسط، قالوا: نعم، إبراهيم التَّيمي مات في الحبس، فقال: حُلْمٌ ونَزْغَةٌ من نزغات الشيطان، وأمر به فألقي على الكُناسة[٣].

[وقال الشعبي: أقام في السجن مدّةً،] ولما دخل السجن نادى: يا أهل السجن، بلاء الله في عافيته، وأهل عافيته في أهل بلائه، اصبروا، فصاحوا جميعاً وبكوا.

وقيل: إنه مات بالكوفة.

أسند عن أبيه، والحارث بن سُويد وغيرهما. وروى عنه سفيان الثّوري، والأعمش، والشّعبي وغيرهم.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢١٢ـ٢١٥ .

(٢) المنتظم ٦/ ٣٠٥ ، والحلية ٤/ ٢١١ ، وما بين معكوفين من (ص)، وجاء الخبر فيها آخر ترجمة إبراهيم.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٠٢ .

[فصل: وفيها توفي]

أنس بن مالك

ابن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام بن جُنْدَب ابن عامر بن غَنْم بن عَديّ بن النَّجار.

من الطبقة الثالثة من الأنصار، وكناه رسول الله ﷺ أبا حَمزة، وقيل: كنيته أبو ثُمامة، وثمامة أكبر ولده، وأم أنس أمُّ سُلَيم بنت مِلْحان من بني النّجار، [واسمها مُلَيْكَة] وأمُّها الرُّمَيْصاء [وقد ذكرناها، وقيل: إن مُليكة جدة أنس، وقد ذكرناها في صدر الكتاب][(١)].

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذت أم أنس بيده، وجاءت به إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، خُوَيْدِمُك أنس ادْعُ له، فقال: «اللهم أكْثِرْ مالَه وولَده، وأطِلْ عُمره، واغفر ذَنبه، وبارك له فيما أعطيتَه» أخرجاه في «الصحيحين» بمعناه[(٢)].

وقال أنس [في رواية ابن سعد عنه:] فدفنتُ من صُلبي مئة ولد، وإن نخلي تُثمر في السنة مرتين، ولقد عشتُ حتى استحييتُ من أهلي [أو سئمت الحياة]، وأنا أرجو الرابعة، يعني المغفرة.

[وفي رواية] قال: خدمتُه عشر سنين، فما قال لشيءٍ لم أَصْنعه: لِمَ لم تصنعه، ولا قال لشيء صنعتُه: لم صنعتَه، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة[(٣)].

وذكر ابن عساكر في «تاريخه» وقال: دفن أنس من صُلبه إلى مَقْدَم الحجّاج بضعاً وعشرين ومئة ولد[(٤)].

[وقد ذكرناه في السيرة، وأن رسول الله ﷺ قال لأنس: «يا بُنيّ»[(٥)]]

---

(١) ما بين معكوفين من (ص)، وفي «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٣٩٥ أن أم سليم بنت ملحان يقال لها الرميصاء، واختلفوا في اسمها فقيل سهلة، وقيل رملة، وقيل أنيفة، وقيل رميثة، وأمها مليكة.

(٢) صحيح البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٢٤٨٠).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٥ـ٣٢٦ و٩/ ١٩.

(٤) «تاريخ دمشق» ٣/ ١٦٠ (مخطوط)، وأخرجه البخاري (١٩٨٢).

(٥) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٧ـ٣٢٨.

شهد أنس الحُدَيبية، وخيبر، وعُمرة القضاء، والخندق، والفتح، وحُنيناً، والطائف، وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وروي عن مولًى لأنس أنه قال له: شهدتَ بدراً؟ فقال: لا أُمَّ لك، وأين غِبْتُ عن بدر؟

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: خرج أنس مع رسول الله ﷺ حين توجّه إلى بدر، وهو غلام يخدم رسول الله ﷺ[1].

قال المصنف رحمه الله: وعامة الرواة على أنه لم يشهد بدراً ولا أحداً[2].

[وقال ابن سعد بإسناده إلى معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: سمعت أنساً يقول:] ما بقي أحدٌ ممن صلى إلى القِبلتين غيري.

وقال ابن سعد: كان يصلي حتى تتفطَّر قدماه دَماً.

وكان مجاب الدعوة؛ يدعو فينزل الغيث.

وكان إذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله وعيالَه وولده فيختم بحضرتهم.

وكان إذا خرج إلى قصره صلى على حماره تطوُّعاً، يُومىء إيماءً.

وكان عنده قَدَحٌ من خَشب، فكان يقول: سَقَيْتُ النبي ﷺ بهذا القَدَح أكثر من مئة مرة من كل الشراب: الماء واللبن والعسل.

[قال: وقال رسول الله ﷺ: يا أبا عُمير ما فعل النُّغَير]

قال: وكان يقول: ما من ليلة إلا وأرى فيها حبيبي، ثم يبكي.

[قال:] واستعمل ابن الزُّبير أنساً على البصرة، فاستعمل أنس مولاه أنس بن سيرين على البصرة[3]، فقال له: أتريد أن تجعلني عَشَّاراً؟! فقال له أنس: أفترضى كتابَ عمر ابن الخطاب؟ فأخرجه فإذا فيه: أن يأخذوا من تجار المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، ومن تجار أهل الحرب من كلّ عشرة دراهم درهماً.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٧.

(٢) قال الذهبي في «السير» ٣/ ٣٩٧: لم يعدَّه أصحاب المغازي في البدريِّين لكونه حضرها صبيًّا ما قاتلَ، بل بقي في رِحال الجيش، فهذا وجه الجمع.

(٣) في «طبقات ابن سعد»: على الأُبُلَّة. وما بين معكوفين من (ص).

[وروى ابن سعد عن صالح بن] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: دخل علينا أنس يوم جمعة ونحن نتحدّث والإمام يخطب، فقال: مَهْ، فلما أُقيمت الصلاة قال: إني أخاف أن أكون قد أبطلتُ جُمعتي بقولي لكم مَهْ.

[وقال ابن سعد:] قال أنس: يقولون: لا يجتمع حبُّ عليّ وعثمان في قلب رجل مؤمن، كذبوا والله، لقد جمع الله حُبَّهما في قلوبنا [أو في قلبي].

ولما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال: يا أبا حَمْزة، إنك قد صحبتَ رسول الله ﷺ، ورأيتَ من عمله وسيرته ومنهاجه، فهذا خاتمي فليكن في يدك فأرى برأيك، فلا أعمل شيئاً إلا بأمرك، فقال له أنس: أنا شيخ كبير قد ضَعُفتُ ورَقَقْتُ، وليس فيّ اليوم ذاك، فقال: قد عملتَ لفلان وفلان فما بالي أنا؟ فانظر أحد بنيك[1] ممَّن تثق بدينه وأمانته وعقله، فقال: ما في بَنيّ مَن أثق لك به، حتى كثر الكلام بينهما.

وروى ابن سعد عن ثابت قال:[2] كنا مع أنس يوم جمعة، فأخّر الحجاج الصلاة، فقام أنس ليُكَلِّمه في ذلك، فنهاه إخوانه وقالوا: نخاف عليك وعلى ولدك وأهلك، فخرج وركب دابته وانطلق نحو الزاوية وهو يقول: والله ما أعرف شيئاً مما كنا فيه على عهد رسول الله ﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فقال له رجل: فالصلاة يا أبا حمزة؟ فقال: قد صليتُم الظهر عند المغرب، أفتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ[3]؟!

ذكر قصة أنس بن مالك مع الحجاج[4]:

قال ابن سعد بإسناده إلى عليّ بن زيد بن جُدعان قال: كنت في دار الإمارة والحجاج يَعرض الناس أيام ابن الأشعث، فدخل أنس بن مالك، فلما دنا من الحجاج قال الحجاج: يا خُبَثَة، جَوّال في الفِتن، مرّة مع علي بن أبي طالب، ومرة مع ابن

---

(١) في النسخ غير (ص) فليس فيها الخبر: فانظر كان في بيتك، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٣٩.

(٢) في النسخ: وقال ثابت، والمثبت من (ص).

(٣) انظر «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٥ـ٣٤٠ و٩/ ٢٠. ووقع بعد هذا الخبر في (أ): تم المجلد الثامن بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ويتلوه في المجلد التاسع قصة أنس مع الحجاج. وغفر الله تعالى لمالكه وكاتبه وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

(٤) القصة التالية سياقها في النسخ (خ د) مختلف عما في (ص)، غير أنها في (ص) أتم وأوضح، فالمثبت منها.

الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، والله لأَسْتَأْصِلَنَّك كما تُستأصل الصَّمغَة، ولأُجَرِّدَنَّك كما يُجَرَّد الضَّب[١]، فقال له أنس: مَن يعني الأمير أصلحه الله؟ فقال: إياك أعني أصمَّ الله سمعك، فاسترجع أنس، وشُغل عنه الحجاج، فخرج أنس فتبعتُه وقلت: ما منعك أن تُجيبه؟ فقال: والله لولا أني ذكرتُ كَثْرةَ وَلَدي، وخشيت عليهم؛ لأسمعتُه في مقامي هذا ما لا يُستحسن لأحد بعدي[٢].

ثم قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وقد فعل الحجاج ذلك بغير واحد من الصحابة يريد أن يُذلَّهم بذلك، وقد مضت لهم العِزَّة بصحبة رسول الله ﷺ.

وقد ختم الحجاج أنساً في عُنقه.

وقال ابن سعد [بإسناده] عن أبان بن أبي عيَّاش قال: لما بنى الحجاج واسطاً، وفرغ من ابن الأشعث، دعا أنساً وبين يديه خيلٌ تُعرض عليه فقال: أيها الشيخ، هل رأيتَ مع محمد مثل هذه الخيل؟ فقال: وما هذه الخيل؟! رأيتُ مع رسول الله ﷺ خيلاً غُدُوُّها ورَواحُها في سبيل الله، إنما الخيل ثلاثة: فما كان منها في سبيل الله ففيه من الأجر كذا وكذا، حتى أَرْواثُها في موازين أهلها، وما كان للفَحْلَة فهي في سبيل الله، وشَرُّها وأخبثُها ما كان للفخر والرياء[٣]، فقال الحجاج: لقد عِبتَ فما تركْتَ شيئاً، ولولا خِدمتُك لرسول الله ﷺ، وكتابُ أمير المؤمنين فيك؛ لكان لي ولك شأن من شأن ـ وقد ذكرنا حديث الخيل فيما تقدم ـ فقال أنس: هيهات ـ أو أيهات ـ إني لما خدمتُ رسول الله ﷺ علَّمني كلمات لا يَضرُّني معهنَّ عُتُوُّ جَبّار ـ وذكر ابن سعد كلاماً آخر ـ فقال له الحجاج: يا عمّاه، لو عَلَّمْتَنيهِنّ، فقال: لستَ لذلك بأهل، فدس إليه الحجاج ابنَه محمداً ومعه مئتا ألف درهم، ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات.

---

(١) في (ص): الضرب، وسيشرحها المصنف في نهاية الخبر كما وردت في (ص)، والمثبت من النسخ وهو موافق لما في «طبقات ابن سعد» والمصادر.

(٢) في «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٤٠: لكلمته بكلام في مقامي لا يستحييني بعده أبداً، وفي نسخة منه أشار إليها محققه: ما لا يستخشن لأحد بعدي.

(٣) في (ص): والخيلاء.

قال: والكلمات هي: بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كلِّ شيءٍ أعطاني، بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمه داء، بسم الله افتتحتُ، وعلى الله توكَّلتُ، الله ربي لا أشرك به أحداً، اللهم أنت جاري من كلّ سُوء، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، الآية، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، ومن تحتي.

هذا بمعنى ما ذكر ابن سعد[1] عن قصة أنس مع الحجاج.

وذكر الواقدي أن عبد الله بن أنس بن مالك خرج مع ابن الجارود على الحجاج، وقُتل معه، ولما خرج ابن الأشعث كان أنس في جُملة القُرَّاء يُحَرِّض الناس على قتال الحجاج، فقال الحجاج: ما أرى أنساً إلا يُعين علينا، فلما انقضت أيامُ ابن الأشعث، ودخل الحجاج البصرة، استصفى أموالَ أنس، ووَضع منه، فدخل أنس على الحجاج فسلّم عليه، فقال: لا مرحباً ولا أهلاً، إيه يا شيخ خُبَثَة، تارة مع أبي تُراب، وتارة مع ابن الجارود، وتارة مع ابن الأشعث، والله لأُجَرِّدَنَّك جَرْدَ القَضيب، ولأَعْصِبَنّك عَصْبَ السَّلَمة، وذكر بمعنى ما تقدّم.

قال: فقام أنس فخرج من عنده، وكتب إلى عبد الملك بن مروان: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وصاحبِه، أما بعد، فإن الحجَّاج قال لي هُجْراً من القول، وأسمعني نُكراً، ولم أكن لما قال أهلاً، إنه قال لي كذا وكذا، وإني أَمُتُّ بخدمتي لرسول الله ﷺ عشر سنين كوامل، ولولا صِبيةٌ صغار ما باليتُ أيَّ قِتلة قُتلت، والله لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدم نبيّهم لأكرموه، فخذ لي على يده، وأعنّي عليه، والسلام.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غَضَباً، وكتب إلى الحجاج: أما بعد، فإنك عبدٌ من ثَقيف، طَمِحت بك الأمور، فعلوتَ فيها وبغيتَ وطغيتَ، حتى عَدَوْتَ قَدْرَك، وتجاوزْتَ طَورَك، يا بن المُسْتَفْرِمَةِ بعَجَم الزَّبيب، لأَغْمِزَنَّك غَمْزَة اللَّيث، ولأَخْبِطَنَّك

(١) في طبقاته ٥/ ٣٤١ـ٣٤٢.

خَبْطَةً، ولأَرْكُضَنَّك رَكْضَةً تَودُّ معها لو أنك رجعت في مَخرجك من وِجار[1] أُمّك، أما تذكر حال آبائك ومكاسبَهم بالطائف، وحفرَهم الآبار بأيديهم، ونقلَهم الحجارة على ظهورهم، أم نسيت أجدادك في اللؤم والدَّناءة وخَساسة الأصل، وقد بلغ أمير المؤمنين ما كان منك إلى أبي حَمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ القريب، وصاحبه في المَشهد والمغيب، جُرْأَةً منك على الله ورسوله، وأميرِ المؤمنين والمسلمين، وإقداماً على أصحاب رسول الله ﷺ، فعليك لعنة الله من عَبدٍ أَخْفَشِ العَينين، أصَكِّ الرِّجْلَين، ممسوح الجاعِرَتَين، لقد هممتُ أن أبعثَ إليك من يَسحبُك ظهراً لبطن، أو بطناً لظهر، حتى يأتي بك أبا حمزة، فيحكم فيك بما يراه، ولو علم أمير المؤمنين أنك اجتَرَمْتَ إليه جُرْماً، أو انتهكْتَ له عِرضاً غير ما كُتب به إليك[2]؛ لفُعل ذلك بك، فإذا قرأتَ كتابي هذا فكُن له أَطوعَ من نَعْله، واعرف حقَّه، وأكرمه وأهلَه، ولا تُقَصِّرن في شيءٍ من حوائجه، فوالله لو أن اليهود رأت رجلاً خدم العُزَيْر، ولو رأت النصارى رجلاً خدم المسيح، لوَقَّروه وعظَّموه، فتبّاً لك، لقد اجترأتَ ونسيتَ العهد، وإياك أن يبلغني عنك خلافُ ذلك، فأبعث إليك مَن يضربُك بَطْنا لظهر، ويَهتكُ سِترك، ويُشْمِت بك عدوَّك، والْقَه في منزله مُتَنَصِّلاً إليه، وليكتب إليَّ برضاه عنك، ولكلٍّ نبأ مُسْتَقَرّ وسوف تعلمون.

وكتب عبد الملك إلى أنس: لأبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ من عبد الملك، سلامٌ عليك، أما بعد، فإني قرأتُ كتابَك، وفهمتُ ما ذكرتَ في أمر الحجاج، وإني والله ما سَلَّطْتُه عليك، ولا على أمثالك وقد كتبتُ إليه ما يبلغك، فإن عاد لمثلها فعَرِّفني حتى أُحِلَّ به عُقوبتي، وأُذِلَّه بسَطوتي، والسلام عليك.

ثم دعا إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ـ وكان صديقاً للحجاج ـ قال إسماعيل: فدخلتُ عليه في ساعة لم يكن يَبعثُ إليّ فيها، وهو أشدُّ حَنَقاً وغَيظاً فقال: يا إسماعيل، ما أشدّ علي إلا أن تقول الرَّعِيّة: إني ضَعُفْتُ وضاق ذَرْعي عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، لا يَقبل له حسنة، ولا يتجاوز له عن سيئة، فقلت: وما ذاك؟

---

(١) أي: جُحْر.

(٢) في (ص): غير ما كنت به إليه.

فقال: أنس بن مالك؛ كتب إليّ بكذا وكذا، فاذهب بهذين الكتابين إلى أنس بن مالك والحجاج، وابدأ بأنس، وقل له: أمير المؤمنين يُسلّم عليك ويقول: قد كتبت إلى عبد بني ثَقيف كتاباً إذا قرأه كان أَطْوَع لك من أمتك، واستعرِضْ حوائجه.

قال إسماعيل: فركبت على خيل البريد، وسِرْتُ حتى قَدِمتُ على الحجاج فقال: مرحباً بمن كنتُ أحبُّ لقاءَه، فقلت له: وأنا كذلك إلا في هذه المرة، قال: ولم؟ قلت: تركتُ عبد الملك عليك حَنقاً، ورميتُ بالكتاب إليه، فجعل يقرؤه ويَتَمَعَّر وَجهُه، ويَرشَحُ عَرَقاً، ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم قال: نمضي إلى أنس، فقلت له: على رِسلك، ثم مضيتُ إلى أنس وقلت: يا أبا حمزة، قد فعل أمير المؤمنين معك ما فعل، وهو يقرأ عليك السلام ويَستعرض حوائجَك، فبكى أنس وقال: جزاه الله خيراً، كان أعرفَ بحقّي، وأبرَّ بي من الحجاج، قلت: وقد عزم الحجاج على المجيء إلى منزلك، فإن رأيتَ أن تتفضَّل عليه فأنت أولى بالفضل.

فقام أنس ودخل على الحجاج، فقام إليه واعتنقه، وأجلسه معه على سريره، وقال: يا أبا حمزة عَجَّلْتَ عليّ بالملامة، وأغضبتَ أمير المؤمنين، وأخذ يعتذر إليه ويقول: قد علمتَ شَغَب أهل العراق، وما كان من ابنك مع ابن الجارود، ومن خروجك مع ابن الأشعث، فأردتُ أن يعلموا أني أسرع إليهم بالعقوبة إذ قلت لمثلك ما قلت، فقال أنس: ما شكوتُ حتى بلغ مني الجهد، زعمتَ أننا الأشرار، واللهُ سمّانا الأنصار، وزعمتَ أننا أهل النّفاق، ونحن الذين تبوَّأنا الدّار والإيمان، والله يحكم بيننا وبينك، وما وَكَلْتُك إلى أمير المؤمنين إلا حيث لم يكن لي بك قوة، ولا آوي إلى ركن شديد، ودعا لعبد الملك وقال: إن رأيتُ خيراً حمدتُ، وإن رأيت شراً صبرتُ، وبالله استعنت.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما بعد، فأصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ولا أعدمناه، وصَلَني الكتاب تذكر فيه شَتْمي وتعييري بما كان من قَبْل نُزول النِّعمة بي من أمير المؤمنين، ويذكر استطالتي على أنس جُرأةً مني على أمير المؤمنين، وغِرَّةً مني بمعرفة سَطَواته ونَقِماته، وأمير المؤمنين أعزّه الله في قرابته من رسول الله ﷺ أحقّ مَن أقالني عَثرتي، وعفا عن جَريمتي، ولم يُعَجِّل عقوبتي ورأيه العالي في تفريج كُربتي،

وتسكين روعتي، أقاله الله العَثَرات، وقد رأى إسماعيل بن أبي المهاجر خضوعي لأنس، وإعظامي إياه، واعتذر اعتذاراً كثيراً[١].

قول الحجاج: لأَقْلَعَنَّك قَلْعَ الصَّمْغَة؛ [يريد: أستأصلُك] لأن الصَّمْغَ إذا قُلع لم يَبْقَ له أَثَر.

وقوله: لأُجَرِّدَنّك جَرْدَ الضَّرَب؛ وهو العَسَل الأبيض.

وأما المُسْتَفْرِمَةُ بعَجَم الزَّبيب؛ [فيريد أنها تعالج به فَرْجَها] حتى يضيق، كذا ذكر الجوهري، وأنشد: [من الرجز]

مُسْتَفْرِمَاتٍ بالحَصى جَوافِلا

وفسّره فقال: يقول: من شدّة جريها يدخل الحصى في فرجها. قال: وكتب عبد الملك إلى الحجاج: يابن المستفرمة بعجم الزبيب[٢]، بتحريك الجيم.

وقال ابن قتيبة: لست أدري من أيِّ شيءٍ أُخذ هذا الحرف، إلا أنه يقال: استَفْرَمَتِ البَغِيُّ؛ إذا فعلت ذلك.

وقال الفَرْوِيّ: الفَرْمُ أن تُضيِّق المرأةُ فَرْجَها بالعَفِصَة ليَسْتَحْصِف.

وأما الجاعِرَتان فموضع الرَّقْمَتين من اسْتِ الحمار. قال الجوهري: وهو مَضْرِبُ الفَرس بذَنَبه على فخذيه[٣]. قلت: وهذا اللفظ مستحقر من عبد الملك مع فصاحته وتحفظه في مقالته، وقد قيل: إنه ما عرف لعبد الملك كتاب أفحش من هذا.

وحكى ابن عساكر[٤]، عن أبي مُسْهِر قال: قدم أنس دمشق على الوليد لما استُخلف سنة ست وثمانين، وقيل: في سنة اثنتين وتسعين.

وقال مكحول: رأيت أنساً يمشي في جامع دمشق.

---

(١) انظر «الأخبار الطوال» ٣٢٣ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤١٠ ، و«تاريخ دمشق» ٣/ ١٧٣ (مخطوط)، و٦/ ٢٦٨ ، و«المنتظم» ٦/ ٣٣٧ ، و«العقد» ٥/ ٣٦ـ٤١ .

(٢) «الصحاح» (فرم) ٥/ ٢٠٠٤ .

(٣) «الصحاح» (جعر) ٢/ ٦١٥ ، وانظر «تاريخ دمشق» ٣/ ١٧٣ـ١٧٤ (مخطوط) وما بين معكوفين منه.

(٤) من قوله: قول الحجاج لأقلعنك... إلى هنا من (ص).

وقال الزهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أعرف شيئاً مما كنا فيه على عهد رسول الله ﷺ إلا الشهادة، قلت: فالصلاة؟! قال: قد علمتَ ما صنعوا فيها[١].

[وحكى ابن سعد، عن] عيسى بن طَهمان قال: رأيت أنساً دخل على الحجاج وعليه عِمامة سوداء، وقد خَضَب لحيتَه بالصُّفرة.

وقال ابن سعد: ضَعُف أنس عن الصوم في رمضان، فكان يُطعم كلّ ليلةٍ ثلاثين مسكيناً الخبز واللحم، وقيل: ستين مسكيناً.

وكان نقش خاتمه: محمد رسول الله، فإذا دخل الخلاء وضعه.

وقيل: كان نقش خاتمه أَسَد رابِض، وقيل: ثعلب، وقيل: أرنب.

وكان يلبس الخَزَّ والمُعَصْفَر.

وقال سعيد بن جبير: لو رآه السَّلَف لأوجعوه[٢].

ذكر وفاته:

[وقد اختلفوا فيها؛ فحكى ابن سعد، عن عفان بن مسلم بإسناده إلى] النَّضْر بن أنس بن مالك وأنس يومئذ حيّ قال: قال أنس بن مالك: لولا أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَتَمنَّيَنّ أحدكم الموت» لتمنَّيتُه.

وقال ابن سعد: أوصى أن يُغَسِّلَه محمد بن سيرين، وكان محمد محبوساً، فكلَّم عمر بن يزيد المرأةَ التي حبسته، فأخرجته من السجن، فغسله ثم عاد إلى الحبس، وكان ابن سيرين يَشكرها لآل عمر بن يزيد حتى مات.

وجعلوا في حَنوطه مِسْكاً وشَعَراً من شعر رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن يزيد الهلالي: حضرتُ[٣] أنساً مات بالبصرة سنة اثنتين وتسعين، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣/ ١٥١ـ١٥٢ (مخطوط).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٤٢ ـ٣٤٧ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في (ص): وقال ابن سعد بإسناده قال حضرت، وما سلف بين معكوفين منها.

وقال ابن سعد: سألتُ القاضي محمد بن عبد الله الأنصاري: ابنُ كم كان أنس يوم مات؟ فقال: ابن مئة وسبع سنين.

وقال موسى السَّبَلانيّ: قلت لأنس: أنت آخر مَن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قد بقي قوم من الأعراب، فأما من الصحابة فأنا آخر مَن بقي[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: مات أنس في سنة ثلاث وتسعين قبل موت الحجاج بسنتين.

وقال الهيثم: سنة تسعين، وقال ابن عبد البر: مات أنس بقصره بالطَّفِّ على فرسخين من البصرة[٢].

وصلى عليه محمد بن سيرين بوصيَّة من أنس [وكان محبوساً، فكلّم عمر بن يزيد بن عُمير ـ وكنيته أبو حفص ـ أصحابَ الدَّين فأذنوا له، فخرج فغسَّلَه وصلّى عليه ودفنه عند قَصْره.

وقال ابن عساكر: وهذا عمر بن يزيد ولي شرطة البصرة للحجاج بن يوسف، ووليها خالد[٣] بن عبد الله القَسْري.

وكان فاضلاً، قتله خالد بن عبد الله القسري لشيء بلغه عنه، وإنما قتله مالك بن المنذر بن الجارود[٤].

واختلفوا في سنّ أنس؛ فحكينا عن ابن سعد قولين: أحدهما تسعاً وتسعين سنة، والثاني: مئة وسبع سنين.

وقال حُميد الطّويل: عاش مئة سنة، وقيل: مئة وعشرين، وقيل: مئة وثلاث سنين.

وقد ذكرنا عنه أنه قال: مات رسول الله ﷺ ولي عشرون[٥].]

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٤٧ـ٣٤٨.

(٢) «الاستيعاب» (٤٣).

(٣) في (ص): وهذا عمر بن يزيد ولّى شرطته البصرة الحجاج بن يوسف ووليها لخالد، وهذا نص سقيم، ذلك أن عمر بن يزيد ولي شرطة البصرة هو وأبوه للحجاج، ثم ولي البصرة خالد بن عبد الله القسري فجعل على شرطتها مالك بن المنذر، انظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣١٢، ٣١٦.

(٤) كذا وقع السياق، وقد قتلَه مالك بن المنذر بأمر من خالد القَسْريّ، وكان على شرطته بالبصرة، ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٦، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٣١٦.

(٥) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «تاريخ دمشق» ٣/ ١٧٥ـ١٨٠ (مخطوط).

ذكر أولاده:

قد حكينا عن ابن عساكر أنه قال: دفن من صُلبه إلى مَقدم الحجاج البصرة بضعاً وعشرين ومئة ولد، [والحجاج قدمها في سنة خمس أو ست وسبعين، وقد ذكرناه.

وقال ابن سعد: أخبرني بعض أهل العلم أنه وُلد لأنس] من صُلبه ثمانون ولداً، ويقال: مئة.

قال ابن سعد: والذي أحْصَوا لنا من ولده: عبد الله وأمُّه الفارغة بنت المثنى.

وعبد الله من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان ثقة قليل الحديث.

وزيداً، وعُبيد الله قُتل يوم الحَرَّة، وأمُّهما كريمة بنت وَعْلة.

ويحيى قُتل يوم الحَّرة، وخالداً، وموسى، وأمهم من أهل اليمن.

وموسى من الطبقة الثانية، وكان ثقةً قليلَ الحديث.

والنّضْر من الطبقة الثانية وله أحاديث.

وأبا بكر لأُمٍّ ولد.

والعلاء، وأمه رَمْلَة بنت نُعَيم بن وِاقد، من بني جُشَم.

والبراء وأبا عُمير، وأمهما من بني يَشْكر.

وعُمر[1]، وأمه بنت الجارود بن عبد القيس.

ورَمْلَة لأم ولد، وأُميمة لأم ولد، وأم حرام لأم ولد. ومالك بن أنس بن مالك من الطبقة الثانية من أهل البصرة[2].

والمشهور أنه كان لأنس رضي الله عنه مئة ولد، مات منهم في الطاعون الجارف ثمانون.

[وقال هشام:] وقد كان لجماعة مئة ولد؛ منهم: أبو بَكْرَة نُفَيع مولى رسول الله ﷺ، وخَليفة السَّعدي، وعبد الله بن عُمير اللَّيثي، وجعفر بن سُليمان الهاشمي[3]، ولم

(١) في (خ) و(د): عميراً، والمثبت من «طبقات ابن سعد».

(٢) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٥ و٩/ ١٩٠ـ١٩١ .

(٣) انظر «المنتظم» ٦/ ٣٠٥ .

يمت[١] كلّ واحد منهم حتى رأى من صُلبه مئة ولد، ويقال: إنه لا يعرف لهم سادس.

[وليس في الصحابة من أسمه أنس بن مالك سوى اثنين؛ أحدهما هذا، والثاني كنيته أبو أمية الكعبي، له صحبة ورواية[٢].]

ذكر مسانيده:

أسند أنس عن رسول الله ﷺ ألفي حديث ومئتي حديث وستة وثمانين حديثاً.

أخرج له في «الصحيحين» ثلاث مئة وثمانية وثلاثون حديثاً، اتفقا على مئة وثمانية وستين، وانفرد البخاري بثمانين، ومسلم بتسعين[٣].

وأخرج له الإمام أحمد رحمة الله عليه أربع مئة ونيفاً وثمانين، منها مُتَّفق عليه، ومنها أفراد.

وروى أنس عن الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، وابن مسعود، وحُذيفة، ومعاذ، وأبي ذرّ، وأبي الدّرداء، وعُبادة بن الصامت وغيرهم.

وروى عنه أعيان التابعين؛ فمن أهل البصرة: قتادة، وثابت البُناني، وحُمَيد الطَّويل، وأبو قِلابة، والحسن، وابن سِيرين في خَلْقٍ كثير.

ومن أهل الكوفة: عبد الرحمن بن أبي لَيلى، والشّعبي، وأبو مالك الأشعري وأقرانهم.

ومن أهل الشام: مَكحول وغيره.

ومن أهل المدينة: الفقهاء السبعة وأقرانهم، وبنو أنس: عبد الله وموسى ويحيى.

ومن مسانيد أنس قال: قيل يا رسول الله، متى نَدَعُ الائتمارَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر؟ فقال: «إذا ظهر فيكم مثل ما ظهر في بني إسرائيل؛ إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم، والعلم في رُذَّالِكم».

---

(١) في (خ) و(د) و(ص): وخليفة ابن ولم يمت؟!

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٦٠٢ وما بين معكوفين من (ص) وتنتهي فيها ترجمة أنس، وتبدأ السنة الثالثة والتسعون.

(٣) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٣٦٣ و٣٨٨ وفيه: أخرج له في «الصحيحين» ثلاث مئة حديث وثمانية عشر حديثاً... ومسلم بسبعين، وهو خطأ.

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فَسِيلة فلْيَغْرِسْها»[١].

بلال بن أبي الدّرداء

أبو محمد، الأنصاري، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام، وكان قاضياً على دمشق في زمن يزيد بن معاوية وبعده، حتى عزله عبد الملك، وولّى أبا إدريس الخَولاني.

وكان بلال أميراً على الشام، ومات في سنة اثنتين ـ أو ثلاث ـ وتسعين.

وأمه أم محمد بنت أبي حَدْرَد الأَسْلميّ.

روى عن أبيه، وعن أم الدَّرداء، وروى عنه إبراهيم بن أبي عَبْلَة وغيره.

وكان لا يضرب شاهد الزُّور بالسَّوط، ولكن يَقِفُه على دَرَج دمشق ويقول: هذا شاهد زور فاعرفوه[٢].

عبد الرحمن بن يزيد

ابن جارية بن عامر بن مُجَمِّع، أبو محمد الأنصاري.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمه جَميلة بنت ثابت بن أبي الأَقْلَح، وأخوه لأمه عاصم بن عمر بن الخطاب.

ولد عبد الرحمن على عهد رسول الله ﷺ، وروى عن عثمان رضوان الله عليه، وولي القضاء على المدينة لعمر بن عبد العزيز، ومات بها سنة ثلاث وتسعين، وكان ثقة كثير الحديث[٣].

وكان له أولاد؛ منهم: عيسى قُتل يوم الحَرَّة، وإسحاق، وجَميلة، وأمّ عبد الله، وأم أيوب، وأم عاصم، وأمهم حَسنة بنت بُكير بن جارية، وجميل لأم ولد، وعبد الكريم وعبد الرحمن، وأمهما أُمامة بنت عبد الله، مَخْزوميّة.

---

(١) مسند أحمد (١٢٩٤٣) و(١٢٩٠٢) على الترتيب.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٩٧ (مخطوط).

(٣) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٨٦ : روى عن عمر... وكان ثقة قليل الحديث.

مالك بن أوس

ابن الحَدَثان، البَصريّ، أبو سعيد، أحد بني نَصْر بن معاوية.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، أدرك رسول الله ﷺ ولم يره، وركب الخيل في الجاهلية، وكان قديماً، ولكنه تأخّر إسلامُه، ومات سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة إحدى وتسعين.

وكان عريفَ قومه في زمن عمر بن الخطاب، وشهد خُطبة عمر بالجابية، وفتوح القُدْس معه، قال: دخلت القدس، فجعل عمر الصَّخرةَ خلف ظهره وقال: هذه قبلة اليهود، فقال له عبد الله بن سَلَام: فخالِفْهم، فخالَفَهم.

وقال ابن عبد البر: روى عن العشرة المبشَّرين، والعباس بن عبد المطلب.

وعاش أربعاً وتسعين سنة. وروى عنه عكرمة بن خالد، ومحمد بن جُبَير بن مُطْعِم، والزُّهري، وأبو الزُّبير، ومحمد بن المُنْكَدِر وغيرهم[1].

السنة الثالثة والتسعون

[قال علماء السير:] وفيها فتح قُتيبة بن مسلم خُوارزم وسَمَرْقَنْد، وسُكَّانها [يقال لهم:] الصُّغْد، وبنى بها مسجداً، وخطب بنفسه، وأخذ من أهلها عن رؤوسهم ستة آلاف ألف وثلاثين ألفاً، ووجد في سمرقند جارية من ولد يَزْدَجِرد، فبعث بها إلى الحجاج، فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك، فأولدها يزيد بنَ الوليد.

ذكر تلخيص القصة:

كان ملك خُوارزم قد غلب عليه أخوه خُرَّزاذ، واستولى على الممالك، وكان إذا بلغه أن عند أحد من أصحاب أخيه جارية أو دابة أو متاعاً، أو كان لبعض أصحاب الملك خُوارزم شاه أخت أو ابنة جميلة أرسل خُرَّزاذ فأخذها غَصْباً، فخاف أخوه منه، فكتب إلى قُتيبة يدعوه إلى بلاده، وشرط عليه أن يُسلم إليه أخاه خُرَّزاذ، وكُلّ عدوٍّ له، يرى فيه رأيَه، ولم يُطلع أحداً على مُكاتبته قتيبة، فأجابه قتيبة إلى ما سأل، وجاء زمان

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٦٠ ، و«الاستيعاب» (٢٣٢٦)، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٧ ، و«السير» ٤/ ١٧١ .